الحكمة ميراث شهر الله

بين سهرٍ وسمرٍ وإمساكٍ عن الأكل والشرب والمفطرات، واشتغالٍ بالدعاء وتلاوة القرآن، وذهابٍ وإياب، واجتماعٍ واستماع، وحشرٍ ونشر، وبرامج وأمسيات، والقدر وليالٍ عشر، ورحلات التموين العائلي، وصدى المطبخ الذي لا تهجع رحاه، وجولات التحضير الفيزيقي لمشهد العيد، وأنباء هلال شوال!!

بين كل هذا الضجيج والعجيج -الذي نسأل الله سبحانه أن يجعله بلطفه ومنه وكرمه مما أراده من كرامة لعباده ومما هيأه لهم من حياة طيبة- ؛ بين كل ذلك يتساءل المرء أو هكذا ينبغي له : ما هي التركة التي خلفتها هذه الليالي والأيام؟ وما هو ميراث الصيام والقيام؟ وكيف

أجد نفسي بعد هذا الموسم الرباني والمحفل الإلهي العظيم ؟

وسؤال آخر: ما هي علامة المسار الصحيح الذي انتهجته والسبيل الذي سلكته في استثمار الزمن الاستثنائي ؟

من البديهي أن البرنامج العام في كل عام ثابت بمواده وحيثياته، والسؤال ليس هو: (هل كان صيامي صحيحاً ؟) ؛ فالجواب بالإيجاب مما لابد منه سعياً وتحقيقاً، وليس السؤال أيضاً (هل أن صيامي وقيامي -إن كنت من الموفقين للقيام- كان مقبولاً أم لا؟)؛ فإن الجواب يمتلكه كل واحد وهو (إنما يتقبل الله من المتقين). فهذا جواب يترك الإنسان أمام نفسه مكشوفاً وواضحاً وهو به بصير.

وقد يكون الجواب مبنياً على تفضل الله سبحانه بأن الله بكرمه يتقبل من المطيع والمقصّر كلٌ بنسبته وحسب حسن ظنه بربه، وحسب ما يُستظهر من تفاوت الثواب على الأعمال الراجع لحال العامل وظروف العمل.

إن كل هذه الأسئلة مهمة وجوهرية في إطار: المتابعات، المراقبات، والمحاسبات الذاتية.

وهي مقدمة لأهم ما ينبغي أن يتفقده المرء في ذاته بعد كل هذه الحركة ليتساءل:

ما هو الزاد الذي ظفرت به؟

ما هي الثمرة التي تحصلت عليها؟

ما الآثار الروحية والمعرفية، وما العوائد والفوائد التي استفدتها من هذا الموسم ؟

وبعبارة أخرى: ما هو ميراث شهر الله؟

وللجواب نقول:

إن الغاية القصوى للصيام والمقصد الأكبر لشهر رمضان هو ما ينبغي أن أتفقد حصوله وبلوغه والتقدم فيه ألا وهو المعرفة التي تنتج التقوى وسائر البركات.

الإنسان معني بالسعي للكمال وفي هذا السعي ينبغي أن يحدد الفرد النواقص الذاتية له ومكامن الخلل،

والطبائع التي ينبغي تغييرها أو تحسينها، ومن ثم العمل على الإصلاح والتغيير وبما أن هذا الأمر متفاوت من شخص لآخر أيضاً، فالتعاطي معه وعلاجه هو من المتغيرات النسبية، وبعبارة أخرى أوضح : أحدد أولوياتي وأهدافي وما أريد إنجازه وإحرازه حسب مقتضى الحال لي.

ولنتعرف الآن: ما هي غاية الصيام؟ وما هو المقصد الأكبر لشهر الله؟

وهنا نستنطق القرآن لنجد مايلي:

أن شهر رمضان هو عبارة عن برنامج متكامل ينشد الكمال الإنساني عبر عملية مزدوجة ومركبة للتذكير، تعيد توجيه نظر الإنسان إلى كل ما حوله في إعادة ضبط للفهم والسلوك وفي موازنة بين الروح والجسد.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة (١٨٣).

فالمقصد المباشر من الصيام تحقيق غاية التقوى، أما حين يتحدث سبحانه عن شهر رمضان كموسم متكامل مؤلف من صيام وقيام وتلاوة ودعاء ونشاط وتكافل وتواصل اجتماعي فإنه يقول: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة (١٨٥).

أي أن المقصد من شهر رمضان بما يتضمنه من عبادات وفعاليات وأنشطة وأحداث، هو تحقيق غاية الشكر المتضمنة لزوماً التقوى، وقد أورد العلامة المجلسي عن المحاسن: في قول الله تبارك وتعالى: (ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون). قال الشكر المعرفة، وفي قوله: (ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم). فقال:

الكفر ههنا الخلاف، و الشكر الولاية والمعرفة.[1]

▪ المعرفة عين الحكمة:

ورد في تفسير العياشي: عن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا. فقال: إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه.

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا. قال: معرفة الامام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار.

وقال: سألته عن قول الله: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا. قال: هي طاعة الله ومعرفة الامام.

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا. قال: المعرفة.

(١) - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - الصفحة ١٤٩.

▪ بيان العلامة المجلسي لمعنى الحكمة:

قيل: الحكمة تحقيق العلم وإتقان العمل. وقيل: ما يمنع من الجهل. وقيل: هي الإصابة في القول. وقيل: هي طاعة الله، وقيل: هي الفقه في الدين. وقال ابن دريد: كل ما يؤدي إلى مكرمة، أو يمنع من قبيح. وقيل: ما يتضمن صلاح النشأتين. والتفاسير متقاربة، والظاهر من الاخبار أنها العلوم الحقة النافعة مع العمل بمقتضاها وقد يطلق على العلوم الفائضة من جنابه تعالى على العبد بعد العمل بما يعلم[1].

وقد لخص العلامة المجلسي بعبارته الأخير معنى الحكمة بأنه العلم النوراني الذي يفيضه الرب على العبد، وهي المعرفة القلبية بفروعها التي تنوعت على ألسن المفسرين إذ أنها تصب في مصب واحد، وفي رواياتهم عليهم السلام: العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.

(١) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١ - الصفحة ٢١٥.

إن هـذه الحكمـة والمعرفة والنـور التي يمـشي بها المؤمن بـين النـاس هـي عينهـا المبتغاة من هـذا الموسـم الإلهي وهي علة التشريـع لجملة عبادات شـهر رمضـان المبارك.

■ **قيمة المعرفة:**

المعرفـة أصـلٌ ولـه فـروع وفروعـه هـي أصـول الدين المسـتقرة في قلـب المؤمـن، وأعظمهـا معرفة الله التـي هي أم المعـارف، وهـي التي تجعل النفـس مطمئنـة وراضية مرضية فتعيـش سـعيدة محبـورة في جنـة عاليـة وإن كانـت في الدنيـا وهـي أي المعرفـة مصـدر كل البركات:

عـن جميـل بـن دراج، عـن أبي عبـد الله عليه السلام قـال: لـو يعلـم النـاس مـا في فضـل معرفـة الله عـز وجـل مـا مـدوا أعينهـم إلى مـا متـع الله بـه الأعـداء مـن زهـرة الحياة الدنيـا ونعيمهـا وكانـت دنياهـم أقـل عندهـم ممـا يطؤونـه بأرجلهـم ولنعمـوا بمعرفـة الله عـز وجـل وتلـذذوا بهـا تلـذذ مـن لم يـزل في روضـات الجنـان مـع أوليـاء الله.

إن معرفة الله عز وجل أنس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم[1].

▪ كيف أحصل على المعرفة؟

أما كيف يخرج الإنسان من هذا الشهر الفضيل بحصيلة معرفية حكمية تسهم في تقدمه نحو الكمال وتحدث تغييراً حقيقياً نحول الفضيلة وترفعه مرتبة أعلى في مدارج الكمال الإنساني فذلك يحتاج لعرض مفصل لا تسعه هذه المقالة المقتضبة، ولكن في الجملة يمكن القول أن ذلك يتم من خلال التذكر والذكرى عبر التفاعل الواعي مع مواد هذا البرنامج والفهم العميق للاحتياجات والنواقص الذاتية، كالتالي:

▪ سلوكياً:

عبر الالتزام بالبرنامج العبادي والاجتماعي

(١) - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ - الصفحة ٢٤٨

والسلوكي الذي بينه الرسول الأعظم ﷺ من خلال مواد خطبته الغراء والتي صاغها ﷺ كبرنامج متكامل للتذكر فالتذكر قد جعله الله سبحانه صراطاً للشكر والشكر بذاته طريقاً للتذكر :

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأنعام (١٢٦).

وبين التذكر والمعرفة والحكمة رابط وثيق في قوله تعالى :

قَالَ جَلَّ فِي عُلاه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة (٢٦٩).

فذكر الله سبحانه وتذكر نعمه والاعتراف والعرفان بها هو عين الشكر:

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة (١٥٢).

وقد كانت وظيف الأنبياء ونبينا الأكرم ﷺ هي التذكير بمنسي النعمة:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات (٥٥).

وقَالَ اللهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المائدة (٢٠).

والعبادات وسائر التشريعات إنما هي تطبيقات عملية للتذكر:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود (١١٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه (١٤).

وكذلك هي تلاوة القرآن ومعرفة أحوال الرسل مع

الأمم السالفة:

قَالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود (١٢٠).

كما أن على الإنسان أن يعرف الأدلاء على الله والمذكرون به وأهل الذكر:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنبياء (٧).

▪ استثنائية التذكرة في شهر النور

إن الله سبحانه قد جعل هذا البرنامج فريداً فأجزل العطاء الروحي في شهر رمضان بنفحات ورحمات وضاعف العطاء الأخروي على ما فيه من عبادات وصلات ولذلك فإنه استثنائي يكاد لا يشقى فيه إلا من استحوذ عليه الشيطان ومسخ عقله وروحه وختم على

قلبه وسمعه وبصره، إذ صمم هذا الشهر ليسهل سبيل الإحسان ويعين على الشيطان، ويكفي أن يتلقى الفرد خيوط النور ويقفوا بهاء الضوء ليلج إلى سبحات النور ويتطهر في موسم الطهر والسمو.

▪ نظرياً:

عبر تدارس العلم وتدبر القرآن ومدارسة تفسيره، والاسترشاد بنور وروايات أهل البيت عليهم السلام، وهو كتاب الهدى والنور والفرقان والبيان والتبيين والبصيرة والرشد والحكمة، والروايات مبينة ومفصلة ومفسرة له، ويتفرع من ذلك قراءة العقائد المحقة وفروعها، وبالعودة للقرآن الذي هو ﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ والذي اقترن نزوله بشهر رمضان نجد أنه قد أكد على حقول مهمة وعظيمة الأثر تشكل معادلات خطيرة في إدارة الوعي الإنساني لا حصر لها ولكن نستجلي منها: (حقل العلم) وحقل و (حقل القراءة) ويستتبعهما حقلي الكتاب والدرس، كما أن حقولاً شتى كالتفكر والتعقل

والنظر وغيرها مليّة بالمطالب ووافية بالمطلوب ونورد هنا كنموذج:

- **حقل العلم:**

قَالَ تعالى: ﴿.. فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة (٢٣٩).

وقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ محمد (١٩). وفي هذه الآية دلالة على وجوب معرفة الله، والاستغفار لتطهير النفس وتهيئتها لتلقي نور العلم.

وقَالَ سُبْحَانَهُ:﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة (١٥١).

وهنا نرى كيف أن الحكمة مقترنة بكتاب الله وهي نور منه..

قال تعالى: ﴿... كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران (٧٩).

وقوله تعالى: ﴿... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف (٧٦).

وقال سبحانه: ﴿... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه (١١٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ...﴾ النساء (٨٣).

وقَالَ: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ النساء (١٦٢).

وقَالَ تعالى: ﴿...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران (٧).

وغيرها من الآيات، كما أن آيات القرآن حافلة وزاخرة بالشواهد التي تحث على العلم بعناوين محددة كالعلم بقدرة الله وصفاته.

ويتفرع من العلم حقل القراءة:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق (١). فالقراءة من آيات الخلق ووسيلة لتكامل المخلوق الذي كرمه الله دون سائر المخلوقات فقال سبحانه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ العلق (٣). وصفة الأكرم هنا قرينة على تكريم بني آدم بهذه الميزة العجيبة فكل مخلوق يولد ويموت في حدود مقيدة من العلم إلا الإنسان فإن العلم لا سقف لأن الله سبحانه هو واهب العلم: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق (٤-٥).

▪ حقل التدبر:

القرآن الكريم كما ترى هو كتاب عجيب في منطقه فهو كتاب تذكرة ومعرفة وحكمة وهداية ومنطق رباني، كما أنه جامع في آياته لأنماط التذكر وشروطه وأركانه والنتائج المترتبة عليه، وإن من أهم شروطه رفع حجب الغفلة وإعمال العقل في آيات الخلق، وتزكية القلب، فهو

ذكـرى لمـن كان لـه قلـب وتذكرة لمن يخشـى.

أمـا حين الحديـث عن الطريقـة التي ينبغـي التعاطي بها مـع كتـاب الله لمن لم يجـز إلى الإيمان فـإن له أسـلوباً عجيباً في رفـع الموانـع لأجـل سـكون النفـس بمعرفـة حديـث الرب ورفـع الريـب مـن القلـب إذ يشـير ويؤكـد عـلى التوافـق المفاهيمـي والترابـط القيمـي فيـه عـبر شـبكة مـن نسـيج متعاضـد ويدعـو للتدبـر حول القـرآن وفيه، فيقـول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّـرُونَ الْقُـرْآنَ وَلَـوْ كَانَ مِـنْ عِنْـدِ غَـيْرِ اللهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلَافًـا كَثِـيرًا﴾ النسـاء (٨٢).

هـذا بالنظر للحقيقـة الخارجية للقرآن أمـا عن تصحيح وضبـط الصـورة الذهنيـة المتكونـة إن صـح التعبـير- عـن القـرآن في النفـس البشرية وبعبـارة أخرى : حديثـه عن رفع حجـب القلـب لتلقي نور الرب فإنـه يقول:﴿أَفَـلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ أَمْ عَـلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَـا﴾ محمد (٢٤).

وقـال سـبحانه: ﴿كِتَـابٌ أَنْزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ مُبَـارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِـهِ وَلِيَتَذَكَّـرَ أُولُـو الْأَلْبَـابِ﴾ ص (٢٩).

وإنك لترى كيف يرتبط التذكر بالقرآن والتأمل والتدبر فيه وفي آياته.

■ **التكوين المعرفي ومصهر الموسم الرمضاني:**

إن هذه المعطيات الآنفة الذكر والتي أوردتها بشكل مقتضب -أسأل الله أن لا أكون مخلاً بتمام الغرض- حين يسعى لها الإنسان نظرياً وسلوكياً ويستنزل من الله المدد والعون والعطاء بالتقرب له سبحانه والعمل الصالح والصيام والقيام والتلاوة والبر بالأهلين وصلة الرحم، والتحلي بالرحمة فإنه سبحانه يمن على عباده بالعطاء المهنّا من سوابغ الآلاء ويفيض عليهم نعمة النعم والتي بها تستزاد النعم ألا وهي الشكر والمعرفة والحكمة والهداية.

إن هذه المعرفة الحكمية هي أعظم جوائز الرب في نهاية هذا السعي الرمضاني، وأعظم بركاته سبحانه حين تنجلي عن البصر غشوات العمى وتتكشف الحقائق للمؤمن بذلك النور الرباني والمدد الروحاني الذي ينعش

روح الإيمان فتزهر النفس بأطايب الصفات وتشرق الروح بأزاهير الحياة، وتتفجر ينابيع الحكمة في الجوانح، فتسقي أشجار الحب وتروي أغصان الشوق وتينع ثمار الوصل والوصول.

▪ المعرفة وسباق الخيرات:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ المطفّفين (٢٦).

حين تنكشف الحقائق للإنسان فيرى النعيم بحقيقته النورانية نعيماً خالداً أبدياً سرمدا فإن عنان النفس لينقاد طواعيةً نحو الخير وتلك الخيل الجموح بطبعها الشرود برجلها تهرول منساقةً في مضمار الخير وفي سبيل الله بل إنها لترتفع سمواً وعلواً في عروج كبراق مجنّحً نحو السماء ، وكذلك ترى العصيان سبيل الهلاك بل عين الجحيم ماثلاً، قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ،ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ،كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

والنعيم هاهنا هي المعرفة وولاية أهل البيت عليهم السلام فعن سدير الصيرفي عن أبي خالد الكابلي قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فدعا بالغداء فأكلت معه طعاما ما أكلت طعاما قط أنظف منه ولا أطيب منه، فلما فرغنا من الطعام قال: يا أبا خالد كيف رأيت طعامنا؟ قلت: جعلت فداك: ما رأيت أنظف منه قط ولا أطيب ولكني ذكرت الآية التي في كتاب الله « لتسألن يومئذ عن النعيم « فقال أبو جعفر: لا إنما تسألون عما أنتم عليه من الحق . وعن أبي سعيد عن أبي حمزة قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة فدعا بطعام مالنا عهد بمثله لذاذة وطيبا حتى تملينا واتينا بتمر ينظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: لتسألن يومئذ غدا عن هذا النعيم الذي تنعمتم عند ابن رسول الله صلى الله عليه

وآله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأجل أن يطعمكم فيسوغمكوه ثم يسألكم عنه، ولكنه يسألكم عما أنعم به عليكم بمحمد وآل محمد[1].

وهذا المعنى الروائي هو عين المعنى القرآني: في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة (٩٣).

ولكي يحافظ الإنسان على هذا النعيم فإن عليه يستثمر فيه ويفيد منه ويكسب من خلاله الخيرات قبل طروء الغفلة وما شابهها من حجب، قَالَ اللهُ جَلَّ في عُلاه: ﴿... يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ...﴾ الأنعام (١٥٨).

ولذا فإن عليه أن يحذر بعد التذكر من خطر الغفلة

(١) - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٣ - الصفحة ٣١٨.

الجديدة قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام (٦٨).

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا شهر رمضان من قابل وأن يوفقنا سبحانه لذكره وشكره، وأن يبلغنا مقامات الشكر والمعرفة في أيام الله كشهر رمضان وليلة القدر وأيام الحج وعرفة، وأن يوفر حظنا من الصواب والحكمة، وصلى الله على محمد و آله وسلم تسليماً كثيرا.

محمد حسن آل إبراهيم

٧ شوال ١٤٤٤هجرية

٢٨/ ٤/ ٢٠٢٣م